

والمعنى : هو منجز ما وعدهم به من العذاب ، إذا جاء الوقت المحدد لذلك كما قال تعالى : { وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمْ الْعَذَابُ وَلَئِيَّا تَتَذَكَّرُ } وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ { وقوله تعالى : { أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ } وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ { وقوله تعالى : { أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ءَأَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ { وبه تعلم أن الوعد يطلق في القرآن على الوعد بالشر . .

ومن الآيات الموضحة لذلك قوله تعالى : { قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِي كَفَرْتُمْ وَأَن تَخْتَصِمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَّيَّ كُفَّ بَالِ الْوَعِيدِ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّْ } والصحيح أن المراد بقوله : { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّْ } أن ما أوعده الكفار به من العذاب ، لا يبدل لديه ، بل هو واقع لا محالة ، وقوله تعالى : { كُفَّ بِالرُّسُلِ فَوَاقٍ } وَأَعِيدَ { أي وجب وثبت فلا يمكن عدم وقوعه بحال وقوله تعالى : { إِن كُفَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلُ فَوَاقٍ عِقَابِ } كما أوضحناه في كتابنا : دفع إيهام الاضطراب ، عن آيات الكتاب في سورة الأنعام ، في الكلام على قوله تعالى : { قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } . وأوضحنا أنما أوعده الكفار لا يخلف بحال ، كما دلت عليه الآيات المذكورة . أما ما أوعده به عصاة المسلمين ، فهو الذي يجوز ألا ينفذه وأن يعفو كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ } . .

وبالتحقيق الذي ذكرنا : تعلم أن الوعد يطلق في الخير والشر كما بينا ، وإنما شاع على ألسنة كثير من أهل التفسير ، من أن الوعد لا يستعمل إلا في الوعد بخير وأنه هو الذي لا يخلفه ، وأما إن كان المتوعد به شراً ، فإنه وعيد وإيعاد . قالوا : إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤماً ، وعن الإيعاد كرماً ، وذكروا عن الأصمعي أنه قال : كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاءه عمرو بن عبيد فقال : يا أبا عمرو ، هل يخلف الإيعاد ؟ فقال :

لا ، فذكر آية وعيد ، فقال له : أمن العجم أنت ؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤماً
وعن الإيعاد كرماً ، أما سمعت قول الشاعر :